

البعث عند الفلاسفة والنسائيين

د. محمد حسن خليل أبو حطب

قال ابن سينا في كتابه النجاة :

« يجب أن تعلم أن المعاد (١) منه مقبول من الشرع ، ولا سبيل إلى انبائه

(١) (والمعاد : المعبر والمرجع ، والآخرة معاد الخالق ... والمعاد كل شيء ، إليه المعبر ... وقوله تعالى : إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد .. يعني إلى مكة عدة للنبي ﷺ أن يفتحها له ، وقال الفراء : إلى معاد حيث ولدت ، وقال ثعلب : معناه يردك إلى وطنك وبذلك ... وقال الحسن : ومعاد الآخرة ، وقال مجاهد : يحييه يوم البعث ، وقال ابن عباس : إلى معدتك من الجنة .

وأكثر التفسير في قوله تعالى : لرادك إلى معاد ، لمعادك وعلى هذا كلام الناس ، أذكر المعاد ، أي أذكر مبعثك في الآخرة قاله الزجاج ... وفي الحديث : وأصلح آخرتي التي فيها معادي ، أي ما يعود إليه يوم القيامة ، وهو إما مصدر وإما ظرف ، وفي حديث علي : والحكم لله والمغود إليه يوم القيامة أي للمعاد ، قال ابن الأثير : هكذا جاء المغود على الأصل وهو مفعول من عاد يعود ، ومن حق أمثاله أن تقلب وأوه ألفا كافا والمراح ، ولكن نستعمله على الأصل .

لسان العرب . ابن منظور ج ٢٥ ص ٣١٥٨ دار المعارف

(المعاد : مصدر ميعى أو اسم مكان ، وحقيقته : المودلوجة الشيء =

إلا من طريق الشريعة ، وتصدق خبر النبوة ، وهو الذي للبدن عند البعث ، وخيرات البدن وشروعه مطلوبة لا تحتاج إلى أن تعلم وقد بسطت الشريعة الحق التي أتانا بها فيها المصطفى محمد ﷺ حال السعادة والمقاومة التي بحسب البدن ، ومنه ما هو مدرك بالعقل والقياس البرهاني ، وقد صدقته النبوة وهو السعادة والمقاومة العاقبتان بالمقاييس الثابتة للأنفس ، وإن كانت الأرواح ما تنقصر عن ضرورها الآن .

والحكاء الاطفيون رغبهم في إصابة هذه السعادة أعظم من رغبهم في إصابة السعادة البدنية ، بل كأنهم لا يلتفتون إلى تلك ، وأن أعطوها فلا يستقامونها في جذب هذه السعادة التي هي مقاربة الحق الأول (١) .

هذا النص خاص بالبعث بشقيه الجسماني والروحاني ، نقلناه عن ابن سينا من كتابه النجاة ، وقد اخترنا ابن سينا كممثل للفلاسفة الاسلاميين ، لأنه حديثهم والمبرز فيهم ، وليس معنى ذلك أننا سنقصر كلامنا في هذا

إلى ما كانت عليه ، والمراد هنا الرجوع إلى الوجود بعد الفناء ، أو رجوع أجزاء البدن إلى الاجتماع بعد التفرق ، أو إلى الحياة بعد الموت ، والأرواح إلى الأبدان بعد المفارقة ، وأما المعاد الروحاني المحض على ما يراه الفلاسفة فمقتضى رجوع الأرواح إلى ما كانت عليه من التجرد عن علاقة البدن ، واستعمال الآلات ، أو التبرؤ مما ابتليت به من الظلمات الطبولانية .

حاشية الكتبوري على شرح المقام السعدية لجلال الدواني ج ٢ ص ٢٤ من معاني ١٣١٩ .

(١) النجاة . ابن سينا ص ٢٩١ ط ٣ شركة مكتبة مصطفی الباني الحلبي وأولاده بمصر .

الموضوع عليه فقط ، بل إننا سنتكلم عنه وعن زملائه الآخرين من خلال عرض ودراسة موضوع البحث من وجهة نظرهم .

وقبل أن نخوض في شرح آراء الفلاسفة الإسلاميين في أمر البحث — المعاد — فإننا سنمر سريعاً على آراء العلماء في هذا الموضوع .

العلماء والبحث :

اختلف الناس في أمر البحث بين مؤمن^(١) به ومشككه ، فأصحاب الديانات أطيقوا على الإيمان به ، واحتجوا بالعقل والسمع على إمكان وقوعه^(٢) ، وإن كان ابن حزم يقول : أن السامرية — وهي فرقة من اليهود — لا ألزم بالبحث^(٣) ، وبجانب أهل الديانات هناك الكثير من العلماء ممن لا يلتزمون إلى ديانة سماوية يقولون بالبحث ويقولون به ويقنعون أهلهم على إمكانه ووقوعه .

ويقابل هذا الفريق المزمع بالبحث ، فريق آخر ينكره ، ولا يترقب به بل ويقيم الأدلة من وجهة نظره على استحالة سواء كان البحث روحياً فقط أو جسمانياً فقط أو هما معاً .

يقول جمال الدين الأفغاني (ذهبوا — أي العلميين أو المصاديق

(١) قد وقع الاختلاف بين المؤمنين بالبحث ، هل هو روحى فقط ؟ أو جسماني فقط أو هما معاً ؟

(٢) أنظر كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد للعلامة الحلبي ص ٤٢٤ جمال الدين الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر ، مؤسسة الأعلمي للطبعات بيروت لبنان .

(٣) أنظر الفصل في الملل والنحل ابن حزم ج ١ ص ٨٢ مكتبة السلام العالمية .

أو الدهريين — إلى أنه لا حياة للإنسان بعد هذه الحياة وأنه — أى الإنسان — لا يختلف عن النباتات الأرضية، تنبت في الربيع مثلاً، وتبيس في الصيف، ثم تعود تراباً، والسعيد من يستوفى في هذه الحياة حظوظه من الشهوات البهيمية (١).

هذا الفريق يعرف في مجال الفكر الإنساني بأسم الدهريين أو الماديين وهؤلاء لا يقيمون للمجردات وزناً، أما كانت قيمة هذا الوزن، لأنهم لا يعترفون بها، وذلك لأنهم لا يؤمنون إلا بالمادة المحسوسة فقط لا غير.

هؤلاء الماديون أو الدهريون لا يرون في الإنسان (٢) إلا أنه شيء مادي لا علاقة له بأى شيء روحي، وهم بذلك إنشكروا أن يكون في الإنسان نفس طبيعتها تتأثر طبيعة المادة المحسوسة، وعلى ذلك فإن الموت عندهم هو: عدم محض، ومعنى أنه عدم محض، هو الخدم بعدم وجود حياة أخرى بعد هذا عدم المحض، أى لا يمت بعد الموت، وإنما لنعجب

(١) الرد على الدهريين — مجال الدين الألفاني ص ٦٤، دار الفكر تلك وأظهر آراء الدهريين في كتاب التوحيد الإمام أبي منصور الماتريدي تحقيق وتقديم الدكتور فتح الله خليفة ص ١٤١ وما بعدها دار الجامعات المصرية.

وأظهر أيضاً آراؤهم في الفصل ... ص ١٥/١٦ ج ١.

(٢) خص الإنسان بالكلام لأنه هو المقصود بالبعث، وإلا فإن مذهب هؤلاء الماديين عام وشامل لكل موجود، فلا موجود عندهم إلا وهو مادي صرف.

من يتصور مجرد تصور إمكان إيمان هؤلاء بالبعث ، كيف يقع منهم ذلك أنهم يعتقدون أن الإنسان هو هذا الهيكل المحسوس بحاله من مزاج وغوى وأعراض ، وهذه الأمور كلها تنفنى بالموت وزوال الحياة ، وقد عير عن رأى هذا الفريق المنسكركه القدماء الدهريين بقولهم : ما هي إلا أرحام تدافع وأوصى تبلى .

ونحن نرى أن تعبيرهم هذا أمر منطوق متفق مع معتقداتهم الذاهية إلى أن الإنسان عاوى بحت ، لا مجال فيه ولا مكان للجردات ولا يقال أن الإنسان لا يكون إنسانا إلا بفكر وشعور وعواطف وفكر وحس وعقل ، لأنهم ذاهبون إلى أن هذه الأمور وغيرها مما يطلق عليها مجردات ما هي في حقيقة أسرها إلا نتيجة من نتائج المادة ومظهرها من مظاهرها ، إذن الإنسان في نظرهم مادة فقط لا غير .

يقول الدكتور رشدى مزير : (أن الماديين يذهبون إلى أن الإنسان هو ذلك الهيكل المحسوس بحاله من المزاج والقوى والأعراض ، وأنه بزوال الحياة ينفنى ولا يبقى منه إلا المراتد العنصرية — كما هو مذهب القدماء منهم — أو أن الإنسان بكل مكوناته مادمى مكتسب من الطبيعة ، وليس فيه من المراتد ولا من القوى ماله صلة بعالم الروح — كما هو مذهب المحدثين) (١) .

لكن الدهريين أو المليميين وإن كان يجمع بينهم إنكارهم للبعث إلا أننا نلاحظ أن منهم مع إنكاره للبعث لا يتردى ولا يقر بوجود إله

(١) مواقف الإسلام من الفلسفة في عقيدة البعث ومصير الإنسان .

دكتور رشدى مزير ص ١٥ — مطبعة حسان ، ط ١

(٢١ — مجلة)

لهذا الكون ، أى أنه لا يعترف بالالوهية ، ولا يؤمن بها كما لا يؤمن بالآديان والمرسل ، لأنه قد آمن فقط بالمحسوس ، وأن ما لا يتناهى الحس ففرض وجوده محال ، وعلى ذلك فإن العالم فى نظرهم أنلى لا بداية له ، أبدى لا نهاية له (وزعموا أن العالم لم يزل موجودا كذلك بنفسه وبلا صانع ، ولم يزل الحيوان من النطفة ، والتطفه من الحيوان كذلك كان ، وكذلك يكون أبداً) (١) .

وهؤلاء اسمعهم الإمام الغزالي زنادقة ، ويقول القرآن الكريم أن هؤلاء هم القائلون (نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر) (٢) :

ومن هؤلاء الطبيعيين من يؤمن بالالوهية ، أى يؤمن بوجود إله ، إلا أنه — كما سبق — يشترك مع بقية الطبيعيين فى إنكاره للبعث ، لأنه يرى أن الطبيعة الإنسانية ما هى إلا طبيعة مادية وقد اشتر هذا الفريق باسم الطبيعيين وذلك نظر إلى أن بحورهم فى عالم الطبيعة والحيوان والنبات ، هذه البحور ، وإن كانت قد قادتهم إلى الإيمان بالله سبحانه وتعالى ، إلا أنهم قد انتهوا إلى (أن القوة العاقلة من الإنسان تابعة لمزاجه أيضا ، وأنها تبطل بطلان مزاجه ، فتعدم — أى تبعاً لإنعدام المزاج — ثم إذا إنعدمت فلا يعقل إعادة المعلوم كما زعموا ، فذهبوا إلى أن النفس تموت ولا تعود بالحياة الآخرة ، وأنكروا الجنة والنار ، والحشر والقيامة والحساب

(١) التصوف الإسلامى شخصيات ونصوص (المنقولة من الغزالي للغزالي) دكتور عبد الحليم محمّد ص ٢١٩ دار الشرق العربى للطباعة .

(٢) سورة الجاثية جزء من الآية ٢٤

فلم يبق عندهم لطافة ثواب ، ولا للمعصية عقاب ، فأنحل عنهم اللجام ،
وانهمكروا في الشهوات (إنهماك الأنعام) (١) .

هؤلاء المنكرون للبعث — سواء أطلق عليهم الدهريون أو الطليعيون
أو الزنادقة — ينظرونهم نظرة على طول التاريخ .

فهاهم المصريون القدامى يؤمنون بالبعث ، ويقننون تلك العقيدة
في نفوسهم ، إلا أننا مع ذلك نجد أن منهم من أنكر تلك العقيدة المقدسة
عندهم ، وأثبت ذلك في كتاب (محاورة بين جسم وروح) وفي
تلك المحاورة يحاول الجسم إقناع الروح بأنه لا بعث بعد الموت ، وأنها
مستفارقة بعد هباء ، هذا العناء الذي لا حكمة له ولا نتيجة ، أسكن النفس
لا تسلم له بذلك ونقول له أنك تعطى . فهناك إله سيحاسبك على ما فعلت
في دنيائك هذه ولذلك يجب عليك أن تستعير أياها الجسم في المجاهدة حتى يرضى
عنك الإله ويمنحك متعة الحياة الآخرة ، وهنا يتوجه الجسم إلى النفس
قائلاً : ومن الذي ذهب إلى تلك الدار ثم عاد فأنبأنا بما فيها ؟ (٢) .

هذا الكتاب يدلنا على أن صاحبه ينكر البعث ، ولنا أن نستنتج من
ذلك أنه وجد في مصر القديمة تيار الحاد ، لا يترف بالبعث ، وإن كان هذا
التيار لا يقل له أي أنه كان محدوداً للغاية ، لأن الثابت عن المصريين
القدامى إيمانهم الشديد بالبعث والعمل والإستعداد له في دنياهم هذه .

وفي الهند القديمة نجد أيضاً تياراً متكرراً للبعث ، ونحن لا نتعجب
ولا نسب من وجود مثل هذا التيار في الهند ، لأن الهند القديمة لم يعرف

(١) التصوف الإسلامي .. ص ٢٤٥

(٢) أنظر الفلسفة الشرقية ، دكتور محمد ذلاب ص ٦٨ ، مكتبة النهضة

المصرية أنظر موقف الإسلام من الفلسفة ص ٣٤

هنا أنها اعنت بالبحث لرعان المصريين القدامى به ، يقول الدكتور : محمد غلاب : (لقد كان في الهند قديماً مدرسة تعارض الديانة البرهمية ، وأصحاب هذه المدرسة كانوا يطلقون على أنفسهم اسم (لوكيانا) ومعناه الماديون ، وكان معتقد هؤلاء أنه ليس هناك قانون أخلاق أو ديني ، وأنه لا طاعة إلا للذة ، وأنه لا وجود بحق إلا للمادة ، وأن كثافة هذه المادة أصدق مما يدعى بلطفة النفس . ومن أجل ذلك ذهبوا إلى أن الجسم بعد الموت يتحلل إلى عناصر مختلفة وعلى ذلك فلا بحث للإنسان) (١) .

ونجد نفس هذا الاتجاه في الأمة الفارسية فيها هو مزدك يدعو للإباحية والفوضى وثبت العادات والتقاليد القديمة ويقول (جميع القوانين والحدود والآداب التي وضعت بين الناس فاضية بالجور مقررة للظلم ، وكلها مبنية على الباطل ، وأن الشريعة الدهرية المقدسة لم تنسخ حتى الآن ، ولقد بقيت مصروفة في حرزها عند الحيوانات والبهائم) (٢) .

أما اليونانيون فإننا نجد عندهم من يميز في نفس هذا الاتجاه ، يرمي بين الإنسان والحيوان ، ولا يجد فرقاً بينهما ، فإذا كان الحيوان لا يمت له بعد موته فلماذا يكون الإنسان يمت وحياة أخرى بعد موته ، مع أنه هو والحيوان كلاهما مادي يقضي بالموت ، يقول الشهرستاني عن أبيقور اليوناني أنه يرى أن : (الكل يفسد وليس بعد الفراق حساب ولا قضاء ولا مكافأة ولا جزاء ، بل كلها تضمحل وتندثر ، والإنسان كالحيوان مرسل مهمل في هذا العالم) (٣) .

(١) المرجع السابق ص ١١٢ ، وأنظر موقف الإسلام ص ٣٤

(٢) الرد على الدهريين ص ٧٧ وأنظر الفسك الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ؛ الدكتور محمد الهادي ص ٦٨ - ٧٣ ط ٩ مكتبة وهبة .

(٣) الملل والنحل للشهرستاني تحقيق دكتور محمد فتح الله بدارين ق ٢ ص ١١١ مكتبة الانجلو المصرية .

ان ايقور هذا يسخر من الإنسان الذى يعتقد أن هناك بعداً وحياة أخرى ، بل أنه يصف هذا الإنسان بالجنون ، ويرى أن مثل هذا الإنسان قد كلف نفسه الا يطيق وأرغم نفسه بتكاليف كثيرة وهو في ذلك مخالف لقانون ونظام الطبيعة لقاض بأن الإنسان مثله مثل الحيوان فى استمتاعه بالطبيعة دون قيد أو شرط ، أى بدون تكاليف ، وليس هناك فى قانون الطبيعة فرق بين رغبة حيوانية وأخرى إنسانية ، فالشكل له رغبة يهيم تحقيقها طبقاً لقانون ونظام الطبيعة ، ولذلك فهو يطالب الإنسان بأن يرمى هذه التكاليف التى كبل بها نفسه وراء ظهره ، لكي يستمتع بالطبيعة غير استمتاع (ما بال هذا الإنسان غاده الحرس ، بل الجنون والخرق إلى اعتقاد أن له عوالم توراتية ، ومعاهد قدسية ، وحياة أبدية ، ينقل إليها بعد الرحلة من هذه الدنيا ، ويستمتع فيها بسعادة لا يشرها شقاء ، ولذة لا يحالها كدور ، ولهذا قيد نفسه بسلامل كثيرة من التكاليف ، مخالفاً نظام الطبيعة العادل ، وسد فى وجهه رغبته أبواب اللذات الطبيعية ، وحرّم نفسه كثيراً من المحظوظ النظرية . . . من الجبل أن ينتر — الإنسان — بهذه الحياة التى لا تمتاز عن حياة سائر الحيوانات ، بل جميع النباتات وليس وراءها حياة أخرى فى عالم آخر ، بل أجدر به أن يلقى ثقل التكاليف عن عاتقه ، ويقضى حق الطبيعة البدنية من حظ المادة ، ومنى منح له عارض رغبة حيوانية وجب عليه تناوله عن أى وجوهه (١) .

ويوجد بجانب ايقور الفيلسوف أنباز وتليس الذهاب إلى أن العالم هكذا وجد ، بلا احتياج إلى إله أو إنسان ، أى أنه لا يوجد إله ، ومادام لا يوجد إله فلا مجال لأن نقر ونعترف ببحث وحياة أخرى بعد الموت . يقول سفلانا : أن أرسطو : (يقول : فى كتاب السماء والعالم حاكيا من

أبناذ وقلبيس : إن هذا العالم لم يخلقه أحد من الآلهة ولا من البشر بل كان
أبداً . ا. ه .

ثم قال أرسطو في المقدمة الثالثة من كتاب السماء ما نصه : أما من ذهب
إلى قول أبناذ وقلبيس وديمقريطس ، فإنه قال : أن الأركان لم تصب
بإستحالة بعضها في بعض ، بل لا حدوث إلا في الظاهر ، فإنها موجودة
على حدتها ، فتفرق بعد الاجتماع . ا. ه .

ثم قال في كتاب الفساد والتكوين في المقالة الأولى :

وعندهم : أن الأركان إذا اجتمعت فقد تحدث الأجسام وإذا انفردت
فسدت الأجسام .

وعندهم أيضاً أن الوجود لا يصير إلى العدم (١) اهـ

ويرى الأستاذ الدكتور عبد الحليم محمود أن أغلب العلماء والفلاسفة
مؤمنون ، أي مؤمنون بوجود الإله ، ويعتبر الإلحاد شذوذاً عند العلماء
والفلاسفة ومع أنه شذوذاً إلا أنه موجود وله ممثلون باستمرار ، ويذهب
إلى أن ديمقريطس الفيلسوف اليوناني هو أول من حاول إقامة مذهب متكامل
للإلحاد ، وكانت فكرة هذا المذهب طيفاً لما يقوله الدكتور عبد الحليم
محمود هي : (أن المادة قديمة وهي مركبة من أجزاء لا تتجزأ ، وهذه
الأجزاء أو الذرات دائمة التحرك في الفضاء اللانهائي ، ومن اجتماعها تتكون
الأجسام وبافتراقها تنحل ، وهكذا يستمر الأمر من الأزل وسيتق إلى الأبد
بدون غاية ولا هدف ، أنها الآلية البحتة ، وهذه الفكرة وإن كانت

(١) سقلاًنا . للذاهب الفلسفية . ففلا عن كتاب التصرف الإسلامي

قديمية، عرجها فكرة كل من يتخذ الإلهام مذهباً في العصور الحديثة وإن اختلفت كيميائيات التعبير عنها.

إنها فكرة الماديين المعتدلين كما كانت لفكرة الماديين القدماء ولم يغير من جوهرها تنظيم الذرة أو تعبيراتها، اللهم في كيميائيات التعبير عنها (١٦).

وهذا التيار الإلحادى للتكرار للبحث له مثله في الجريرة العربية قبل الإسلام، ويلخص لنا الشاعر ساقى وجهه نضرم وشبههم في ذلك يقول:

(... فمن مطلق بهاب لا يرد عليه فكره مراد، ولا يهد به عنه ونظره إلى اعتقاد ولا يرشده فكره ونهجه إلى معاد، قد ألقى المحسوس ورثى به، وظن أنه لا عالم سوى ما هو فيه من مطعم شيء، ومنظار شيء ولا عالم وراء هذا المحسوس، وهو لا، هم الطيبون «حريون» لا يلتفتون مطرولا» (١٧).

ثم يقول في موضع آخر، (واعم أن العرب أصناف شتى منهم معطلة، ومنهم محصلة نوع تحصل، وهم أصناف، فصف منهم أنكرتو، الخالق والبعث والإعانة، وقالوا يا للصبح الحبي والدهر المضي وهم الذين أحبرهم القرآن الحمد وفانوا، (ما هي إلا حيواتنا لدى موت وصيا وما يهلكنا إلا الدهر) (١٨). إشارة إلى الصبايح المحسوسة في العلم الدللى، وفصراً للحياة والموت من تركها وتصلها، «جامع هو للطبع، والمهلك هو الدهر (وما يهلكنا إلا الدهر وما ظلم بذلك من علم أن هم إلا يفتنون) (١٩).

(١) التصوف الإسلامى شخصيات وموضوعات ص ٢٤٠/٢٤١

(٢) الملل والنحل ١٠ ق ٢ ص ٣

(٣) سورة الجاثية الآية ٢٤

وعنفسهم أمروا بالخلق وبتداع الخلق والإبداع وأنكروا البحث والإبداع ، وهم الذين أحرقهم القرآن (وحضر ابن مثلاً وليس حقه قال من يحرق المظالم وهو ذميم) (١) ٥٥٥

وشهدت العرب كانت مقصورة على هاتين الشبهتين ، أحدهما إسكار الميث ، يمتك لأجسام ، والثانية جحد البحث ، يمتك الرسل ، قبل الأولى كانوا (أنعمت وكنا تراباً وعظماً) أننا لم نجوئوه ، أو أنزلنا ، لا ولون (٢) إلى أمثالها من الآيات وهو راعى ذلك في أشعارهم يقول بعضهم :

حياة ثم موت ثم نشر حديث حرافة يا أم عمرو
ولبعضهم في مرتبة أهل بيت أنشركين :

فأد بالقلب - فحبب بئر - من الذي تمكّل بالسنام
يجبره الرسول : بأن سحياً وكيف حياة أسد - وهم (٣)
ويقول الشاعر أيضاً :

دعوا أني سأبش حبساً بعد طون أدهام في الأرماس (٤)
وأجود أجد أرفع غيب بين حرور وولد أكيس
أي في أصاب عطفك يا مسكين حتى رميت بالوسواس
وهذا التيار الإلهادي لم يمت وينتهي بحسب الإسلام ، وإن كان قد حوصر في نطاق صيق وبيته محدودة ، هي البيعة الداخلية في الجماعة الإسلامية هذه العروة الداخلية يقول في حقها الرازي :

(١) سورة يس الآية ٧٨

(٢) سورة الصفات الآية ١٦/١٧

(٣) الملل والنحل في ٢ ص ٢٤٤ - ٢٤٩

(٤) الرمس القرب ، تسمية بالمصدر ، ثم معنى به الغير - المصباح

المختار ص ٢٣٨ أحمد بن محمد بن علي بلقري الفيومي ، تحقيق د عبد العظيم الشناوي دار المعارف .

(اعم أن العباد اللازم من هؤلاء على الدين الحقيق أكثر من العباد
اللازم عليه ، من جمع التكفار ، وهم عنه فرق ، ومقصودهم على الإطلاق
إبطال الشريعة بأمرها ونفي الصانع ، ولا يؤمنون بشيء من الملأ ،
ولا يعرفون بالبيعة (١) .

ويقول الأفاضل أن الباطنية ترى أنه : (إذا قامت القيامة حطت
التكاييف عن الاعتناق ، وذهبت الأحكام الشرعية ، سواء كانت متعلقة
بالأعمال البدنية الظاهرة ، أو بملكات النفس الباطنية ، والقيامة عبارة عن
فهم القائم الحق ، وأن القائم خلق ، فليحصل عام ما أراد ، فلا حرج بعد
اليوم ، إذ ذهبت التكاييف ، وحللت بها الدم ، أي أفضت أبواب
الإنسانية وفتحت أبواب الهيمنة (٢) .

واستمر هذا التيار للاتحادى - بيرسند - وجدى القديم حتى وصل إلى
ما يسمى بالعصر الحديث ، ومن أبرز من جعل هذا التيار الاتحادى ملجأ
له ، الشيعةيون أمباح الفيلسوف اليهودى كارل ماركس ، الذى صرح
بعلانية بأن ليس هو أوروب الثوب ، وأمكر كل يهود غير محسوس ،
أى أمكر الأروحية والبحث وشبهه (٣) .

وأصحاب مذهب العصر الحديث بشر كيا ، الذين قالوا بأن الإنسان
هو لآحيوان كبقية الحيوانات الأخرى ، لا يختلف عنها فى شيء .

(١) اعتقادات فرق المسلمين والمشر كين ، صدر الدين محمد بن عمر
الخطيب الراى ص ١١٩ مكتبة الكليات الأزهرية

(٢) ارد . . ص ٨٣

(٣) انظر تاريخ الفلسفة الحديثة يوسف كرم ص ٤٠١ وما بعدها دار
المعارف ، وانظر الفكر الإسلامى ص ٢٧٩/٣١٩ ، وانظر الرد ص ٩١/٩١

ولذلك فإنه من الواجب على الإنسان أن يعيش حيواناً يتمتع بالطبيعة ويشبع رعايته الطبيعية^(١).

كل ذلك وجد في فرنسا فولتير وروسو وغيرهم، يهجون نفس هذا المذبح ويدعون للإصلاح، وحينئذ دعوة ما فعلها من أسكار لاهوت والقيم، واحداً أفكار ابن توماس اليرماني، وزعموا أن الأفكار الدينية حرافات والأديان عترة على بشرية وجهها يا أسكار لالوهة^(٢)، ويهتف هذين المصلوبين بوجود كثير من الملائكة المخطوطة هذا التبريد الإلهي مذهباً لهم مثل جون فولاند، ومثل داروين ومثل مارتين وهرم وصيرم^(٣).

ومن تلك المذاهب الإلهية في العصر الحديث مذهب المورمان وهو نسبة إلى نيفيسكي يدعى مورمون إحدى السيرة، وانتمت حوله جماعة، وفرم هذا المذهب هو الإلهية والإلهاد.

تلك جملة سريعة مع التدرج المنكر للبحث عند القدم إلى هذا العصر وهي لم تقف معهم ولم تدققهم لأن هذا ليس هدفنا هنا، كما أن مناقشة هذا التدرج والرد عليه يحتاج إلى مؤلف مستقل - أرجو أنه أن يوفقنا في المستقبل للقيام به -

وشبهات المنكرين للبحث بعلم في النصين الآتيين:

يقول المنكرون: (من أين تجمع أجزاء كل فرد تبهت وتشتت وتنتشر هذه مشورة، ودخلت في تنكروين كثيرين آخرين، وفي كل جزء من أجزاء العالم، حتى أن دوة السكربون التي قامت بتكرير جزء من رتبة

(١) الزد ص ٨٩

(٢) المرجع السابق ص ٨٦، وانظر تاريخ الفلسفة ص ١٨٨/٢٠٠

(٣) انظر تاريخ الفلسفة ص ١٥٥/٢٥١ و٥٦ وما بعدها

أيضا آدم، قامت أيضا بتكوين الملايين من الرثاء، وغيرها من
الأعضاء، ولا تزال في الحيوان والنبات والجماد (١).

هذا عن البحث الجسماني، أما عن البحث الروحاني فيقولون:

(ولم يقل أن البحث بالأعس لا الأجساد، ولا نفس مفصلة مستقلة
بعضها عن بعض قننا: إن هذه الفعالية عند، أنه غير مدق عليها حالة من
كل استد على ومفهم بالعلوم الطبيعية عموما، ويذهب داروين
خصوصا، ففهم الإنسان كنفس حيوان عن من أعمال المادة، أي:
من أعمال الأعصاب والدمغ على حد عمل الجسم في المعدة والأمعاء
والنبات، فالنفس حادثة من القوة، المتعلقة بالمادة، كما أن الدمغ حادثة من
المادة المتعلقة بالقوة، فالمادة، مشركة وحركتها الزبية، والسكون
الذي رده فيها مدهري فقط، فهي في تمام دائم تحت حكمها، وتنافر
كذلك يقطع أولادها، فاعية والصورة ليس في قلب الإنسان وحده، بل
في قلب الجماد أيضا.

وهناك أصلها وأصل كل حياة، وما أخص والموت، لا تبطل في المادة
وتغير في الصورة ليس إلا (٢).

والآن وبعد أن مررنا سريعا على المريق، نذكر البحث، والذي يقول
في حقهم الشرح، الرئيس ابن سينا: أن عدم قيل وبصيرتهم صيلة، وهم
أنتم من الحيوانات، فإنه قد آن الآن أن نتكلم عن المريق، يؤمن
بالبحث، وهذا المريق عدده أكثر من أن يحصى، فهم السواد الأعظم من
البشرية، والأغلبية المطلقة من أصحاب البصرة والمعرفة.

(١) لفظة النشوة والارتقاء شس شميل ص ٥٠، نقلا عن موقف

الإسلام ص ٣٨

(٢) المرجع السابق ص ٣٨/٣٩

هذا التفریق المؤم بالبعث ، وقع بين أعضائه الخلاف في حقيقة البعث هل هو جسياني بعدد أو روحاني فقط أو هما .

فمن هذا الفريق من قال : بأن البعث جسماني فقط ، ويشمل هذا الفريق فرقة من أهل الجدل في العرب ، وهم يرون ، أن (البدن وحده هو الحيوان ، وهو الإنسان بحياة والسانية خلقتا فيه وهما عرضان ، والموت مما عدهما فيه أو حده لهما .

وفي النقطة الثانية - أي البعث - يفتق في ذلك البدن حياة واسبابة بعدما رم وقفت ، ويصير ذلك الإنسان بعينه حياً (١) .

وهذه التفرقة قد اختلفت فيها بيننا نفرنا :

فمنها من قال : في الإنسان في الحياة الأخرى ، أما بر وإما دجر .
والأول يثبت على ما تقدم من خير وحياته الأول ، لأنه قد عمل بحساب الحياة الأخرى ، فليس على أن يكون انساناً بدياً ، أي عملاً للأعمال الفاضلة ، التي يثبت عليها في أسراء ، وهذا هو ربه غلاد .

أما الدجر فإنه أسس خلاف الأول ، حيث أنه لم يقدم في دنياه أعمالاً حسنة فاضلة صالحة ، فمع إيمانه باسمه إلا أنه لم يعمل بحساب هذه الحياة الأخرى ، ولذلك فهو معاقب في أسراء . وعقابه غلاد .

وممن من قال : إن الإنسان إما مؤمن أو كافر أو مؤمن غاسق .

(١) رسالة أمصورية في أمر المعاد — ابن سينا ص ٣٨ تحقيق الدكتور سليمان دينا علي دار الفكر العربي .

والأول يخلد في ثوابه .

والثاني يخلد في عقابه .

والثالث من . أنه في مشيئة الله ، إن شاء عذبه ، وإن شاء عاقبه ، وإن عاقبه فلا يخلد في عقابه .

وقيل ، به لا عمالة لمعاقب بدون تعذيب ، أي أنه ليس داحلاً في عساق المشيئة ، لأن عقابه واقع لا محالة .

ومعناك من قال : أن المعاقب لا يخلد و عذبه ، أم لمثاب فانه يخلد في ثوابه .

وبعضهم قال : أنه لا حدود لا في الثواب ولا في العقاب .

المعرفة الثالثة : وهي التي نبحث بالبحث الجسماني والروحاني معا .

وهي لا يرون أن الحياة هي في وجود النفس للبدن ، ولموت مفارقة هذه النفس للبدن ، وهي الحياة الدائمة تعود للنفس ، أي ترجع إلى نفس البدن التي كانت فيه في الدنيا .

وهؤلاء عندهم النفس ليست جسماً ، بل هي أمر روحي ، أو هي جسم العلف من سائر الأجسام .

وهم يرون أن الثواب والعقاب روحاني وجسماني معا .

فالثواب الجسماني صخرة عن لذات مادية محسوسة .

والثواب الروحاني : لذات ناشئة عن السرور والفرح مشاهدة للمسكوت الأعلى بين البصيرة ، وأيضا الأمن من العذاب والآلم .

والعذاب الجسماني ، هو : عبارة عن آلام بدنية من برد وحر وعذاب وغيرهما .

والعذاب الروحاني هو : آلام نفسية مثل الخوف ، والبأس ، والحزنى وغير ذلك .

والمسلمون في ذلك على رأيين :

جمهور المتكلمين يرى : أن البحث جسماني فقط ، بناء على أن الروح عندهم جسم لطيف مادي والذين سريان النار في القهقم وابداء في النور ، والبحث يسكون الروح والجسم معا ، ولكنهم يسمونه بشاخصيا اعتيادا على أن النفس جسم .

وخصفون منهم مثل العزالي وغيره بمذهب الصوفية والشيعة والكرامية يرون أن البحث روحاني وجسماني معا بناء على أن النفس عندهم جرم مجرد وليس جسماء .

وأما من قال بأن البحث روحاني فقط ، هؤلاء أيضا وقسح بينهم الاختلاف فمن قائل بأن النفس جسم ، ومن قائل بأنها جوهر نوري من عالم النور ، احتبط بالبين لدى هو جوهر معظم من عالم الصدد ، هؤلاء كما يقول ابن سينا في رسالته اصمونه هم النجوس والشقيوة وامت نوبة ، وسعادة النفس عند هذه الجماعة هو خلاصها من عالم الظلمة وخزقة الأفلاك وذاكلى تخرج إلى عالم النور ، أما الشقاوة فهو بقاء النفس في عالم الظلمة .

ومهم من قال بانتقال النفس إلى الأبدان ، وهم أهل التماسخ ومهم من قال بأن النفس لا بد أن تسمى جسماء ، حتى تخلص من آثار الطيعة دجا ، وهؤلاء في رأي ابن سينا هم الحكماء الفاضلون .

والآن وبعد أن ستعرضا آراء العلماء في البحث بوجه عام ومربيع فإننا نصل إلى التعرف على آراء الفلاسفة الإسلاميين في البحث .

آراء الفلاسفة الإسلاميين في البحث :

ابن سينا في محله الذي نقلناه عنه في أول هذا البحث ، يعترف بالمعاد
بقسميه الجسائي والنفسي ، وهو يرى أن المعاد الجسائي لا يمكن إثباته
إلا عن طريق الشرع ، وتصديق خبر النبوة في ذلك (يجب أن تعلم
أن المعاد منه مقبول من الشرع ، ولا سبيل إلى إثباته إلا من طريق
الشرعة وتصديق خبر النبوة ، وهو الذي للبدن عند البحث) (١) ومعنى
ذلك أنه لا مجال للعقل في إثبات هذا البحث الجسائي ، لأن إثباته وقف
على الشرائع السأوية ، واختار الأنبياء بذلك ، والأدلة العقلية فاحصرة من
إثبات ذلك الشرع من البحث .

وهذا البحث الجسائي لابد أن يكون نوابه حسي ، وعقابه هو الآخر
حسي ، والشرعة الإسلامية قد أفاضت واستفاضت في بيان وتوضيح
التراب والعقاب للحسين

لما المعاد الروحاني وهو الذي للأفصر ، فإن هذا ثابت بالقياس
البرهاني ، أي بعمل العقل ، بالإضافة إلى أن الشرائع السأوية قد صدقت
للعقل في ذلك ، حيث أنها جاءت بالسعادة الروحانية للأفصر السعيدة
والشفاعة الروحانية للأفصر الشقية .

ويرى ابن سينا على المعاد الروحاني وما يتبعه من سعادة روحية
أو شقارة روحية ، بأن الحكمة ، أي الفلاسفة ، وعقبتهم في

أصابة تلك السعادة الروحية أعظم من رغبته في إصابة السعادة البدنية ، حتى كأنهم لا يميزون السعادة البدنية أى الثغات أو اهتمام وهمي ، وأن أسطرها لا يقيمون لها وزناً بجانب السعادة الروحية التي يرغبون فيها ، حيث أن السعادة الروحية ماهي إلا مقارنة الحق الأول أى الله .

إن الحكماء من وجهة نظر ابن سينا يكادون لا يعترفون بالسعادة أو الشقاوة البدنية لأن اهتمامهم مركز على السعادة الروحية أو الشقاوة الروحية ، فالأولى بجانب الثانية أمر لا يذكر ، هذا بالإضافة إلى أن الحكماء لا يجدون طريقاً لإثبات السعادة والشقاوة البدنيين إلا من طريق الشرع حيث أن العقل لا يتمكن من إثبات المعاد الجسائي .

إن هذا الكلام من ابن سينا ، ألا يؤدي إلى التساؤل هل هم حقاً معترفون بالمعاد الجسائي اهتمامهم بالمعاد الروحاني ؟ أم أنهم لا يعترفون بالمعاد الجسائي إلا بجماعة للجمهور فقط لا غير ؟ وخصوصاً أنهم يعتمدون على العقل في كل أبحاثهم ، فما أدى إليه البرهان أمثوا به ، ومارفضه البرهان أنكروه .

لذا قبل أن نصمم عليهم بهذا أو ذاك ، علينا أن نتعرف على آرائهم ونفكارهم من خلال مؤلفاتهم لنصل في النهاية إلى القول الذي اعتقدوه ووصلوا عليه وهتوا عليه آراءهم .

إن الكندي وهو فيلسوف العرب يرى أن النفس جوهر من جوهر الله سبحانه وتعالى ، وعلى ذلك فهي نور من نوره تعالى ، وهذه النفس إذا فارقت بدنها الذي كانت فيه في الدنيا ، فإن كل الأشياء والمعارف تتكشف لها ، وبذلك تصبح شبيهة بالملكوت الأعلى ، بعالم النور ، وذلك لأن لما كان لها من الاكتشاف هو تمكها بالذات البدنية في دنياها وهذا هو ما كان يعرفها من المعرفة الشريفة ، ومن الواجب عليها أن تدبج النظر في دنياها في

حقائق الأشياء ، حتى تصير صافية مقبولة ، حينئذ تظهر فيها الأشياء كما تظهر في مرآة صقلية وتكسر بلادة كبيرة عند مفارقة البدن حيث تنقل إلى عالم الربوبية ، مسكن الأنفس العقلية خفاف السموات ولكن لا بد للنفس أن تتدرج في مراتب النقاء طورا بعد طور ، وتقيم في كل مرتبة مدة تصفو فيها حتى تبلغ حالة الصفاء الخالص ، عندئذ تدخل المسام الإلهي حيث تعلم كل شيء (١)

إن هذه النفس إذا فارقت البدن مفارقة تامة ، كان عليها أكمل ، ولذاتها أعظم ، وتصبح بعد مفارقة البدن في عالم العقل فوق الفلك وصارت في نور الله سبحانه وتعالى (إن مسكن الأنفس العقلية إذا تفرغت فهو كما قالت الفلاسفة القدماء - خفاف الذللك حيث نور الباري) (٢)

وعنه النفس خالدة لأن جوهرها جوهر إلهي روحاني ، وهي من نور الباري تعالى ومن جوهره (٣) ومن كان كذلك فإنه يكون عند الأقبيل الفناء أصلا ، وإلا لكان الله سبحانه وتعالى يمحور عليه الفناء ، وهذا محال لأن الله سبحانه وتعالى قديم أزلي أبدي ، وكل ذلك لذاته ، وما بالذات لا يذول ولا يفتي ، وهو سبحانه وتعالى لا يمحور عليه الفناء ، ولذلك فإن النفس لما كان جوهرها جوهرها الطهيرا روحانيا فإنها لا يمحور عليها الفناء ، وبذلك تكون خالدة .

(١) انظر الرسائل للكندي ج ١ - ٢٧١ / ٢٧٢ تحقيق د/ إبراهيم ريدة ط القاهرة وانظر الله والعالم والإنسان في الفكر الإسلامي / د/ محمد جلال عرف ص ٣٤٤ دار المعارف

(٢) الكندي فيلسوف العرب د : محمد قراد الأهواني ص ٢٥٢ - أعلام العرب ٢٦ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر .
(٣) انظر المرجع السابق ص ٢٥١

ان النفس بسيطة ذات شرف وكال عظيم الشأن ، جوهرها من جوهر
البارى تعالى ، مثلها في ذلك مثل جواهر الشمس من الشمس .

ان هذا الكلام لا يشمل كل الانفس ، وإنما هو خاص بالنفس السعيدة
فقط ، أما النفس التي تغارق بدنها وبها خبت وندس ، فانها تصير الى فلك
القمر ، حيث أنها ستقيم هناك وقتاً ما ، حتى تهبط وتنزل من خبثها وندسها ،
ثم تنتقل الى فلك عطارد ، ومن بعده تصعد الى الفلك الأعلى ، ومنه الى
عالم العقل وراء فلك الفلك ، وبذلك تصير في عالمها الذي هو عالم
الربوبية (١) .

وبذلك تكون سعادة النفس السعيدة ولذتها الحقيقية أن تنعم في عالم
الربوبية بالمالحة الدائمة ، والتي هي تفوق كل ما كانت تمر به من لذات بدنية
حسية يعرضها الاذى ، أما لذتها الالهية فهي روحانية ملكوتية حيث أن
النفس قريبة من خالقها قريبة من نوره ورحمته ونراه رؤية عقلية
لا حسية .

وخلاصة كلام السكندى أنه يدعو النفس الى الزهد والتشفيق في الدنيا ،
وتفضيل البحث عن حقائق الاشياء ، وأن تعلم النفس أنها في دنياها جارية
سبيل الى حياة أخرى باقية دائمة ، والسعيد هو من يسعى الى الله الخالدة
حيث يعيش في قرب من الأقوال الإلهية ، وينعم برؤية باريه ، إنه يجب
على النفس أن تقبل حمل خيرات العقل الدائمة ، وعلى تقوى الله ، وأن
تسلك على طلب العلم وصالح الأعمال ، لأنه يستحيل أن تطلب اللذات
أو الخيرات الحسية معتقدة أنها قادرة على استبقائها ودوامها ، فلاستبقاء
والمرام مستحيلان ، حيث أن الدنيا قانية ، وهناك حياة أخرى باقية دائمة
بعد هذه الحياة الفانية الزائلة .